

ضبط عاطفة الشباب الجياشة



«تُشكل النسبة العظمى في المجتمعات العربية طبقة الشباب، وهم ذوو عاطفة جياشة، وأحاسيس مرهفة، ومشاعر مُلتهية.. تهزهم الكلمة الحلوة، ويستَنزل دموعهم شطر البيت الذي يبكي فيه الشاعر على فراق محبوبته "حتى وإن كان الشاعر يتحدث عن فقدان ناقته وطفته وتاء التأنيث على البيت دون أن يعي القارئ ذلك".

وتصور الكثير من الشباب أنَّ الكلمة الطنانة الرنانة التي تداعب المشاعر، وتأخذ بالألباب، وتأسر القلوب هي كلمة الحب المندفعة في زمن المادة الذي أرخى سدوله، وأطل الدنيا بسواده.. لذا كثر الغزل والهيام والوجد والوله في عالم الإذاعة والصحافة، ولا يخلو مسلسل، أو فيلم، أو مسرحية من كلمات واهية تتلمس طريقاً إلى أحاسيس الناس ومشاعرهم، فأصبح الحب في عصرنا صورة مُظلمة مشوهة.

والمتمأمل في شريعة الإسلام وضوابط العاطفة ومكانتها السامية ليبكي على أمة تتمايل مع أغنية ماجنة، وحبيب يلفُّه دخان المعصية، وجسد بدت عليه آثار التعاسة!

وكان لهذا التولي في مزالق الحب البهيمي أثر سيء على حياة الأُمّة، أفراداً، وأسراً ومجتمعات، فانتشر عقوق الوالدين، وقطعت الأرحام، واختفت الابتسامة الصادقة، وانزوت الكلمة الحانية، وكثر الطلاق بسبب كلمة واحدة تخرج من فم الزوج سهماً يمزق حياة الزوجة.. لم أحبها!

فباسم هذا الحب السطحي الساذج كم من بيوت هدمت، وقلوب كسرت، وأطفال شردوا!

ونحن في عصر الحب - كما يدعي بعضهم - لم نسمع عن قلب رقيق، ودمعة سقطت رأفة بأم كبيرة أفنت شبابها سهراً على وليدها.. ولم نر قُبلة وضعت بين عيني أب لا يجد للراحة طعاماً وحوله صغار حتى يحقق رغبتهم.

وضدَّت الألسن بكلمة المجاملة والنصيحة الصادقة للصاحب والجار.. ونذر أن تجد من يفشي السلام على من يعرف ومن لا يعرف! بل اختلف من أيا منا - السعيدة - ممازحة الصغار والمسح على رؤوسهم،

وتقبلهم، وإسعادهم بالهدايا .

وتوالى قسوة القلوب، فلم تعد تلقي بالاً لأُمَّة الإسلام وهي تُقَتِّل في أنحاء الأرض شرفاً وغرباً.. فأصبح الدم مستباحاً، والكرامة مُهانة، والعزّة ضعفاً وخوراً.

وهكذا سارت الأُمَّة - مع الأسف - كما يريدون في عاطفة غير منضبطة الاتجاه، ولا معروفة النهاية.. ولا شك في ذلك، وهي قد تغافلت ونسيت كتاب عزّ وجلّ، وسنة نبيه (ص)، فأين المحبة الصادقة من إقامة الشعائر والالتزام بالأوامر؟! وأين المحبة للأبناء، والحرص على تربيتهم وتنشئتهم النشأة لصالحة، وإعزّ وجلّ يدعو إلى ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحریم 6)!

والمحبة للمؤمنين في المجتمع المسلم تنبض بعاطفة مزمومة مخطومة لا نرى لها واقعاً ملموساً في حياتنا من حديث الرسول (ص): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وقل لي بربك ما أجمل من مودّة ورحمة وسكينة مع زوجة صالحة يستشعر الزوج فيها أجر رفع اللقمة إلى فمها تودداً وتقرباً، وهي تحتسب أجر خدمته والبحث عن سعادته.. بل أين هذا الحب الجميل، والعاطفة الجياشة عن انّته مريض، وسؤال جاهل، وإعانة ملهوف، وتفريج كربة!

لقد تقطعت السبل، وتاهت الدروب، وفقدت الكلمة الحلوة أسمى معانيها.. ويبقى الحب في عالم المادة ادعاء يسقط مع أوّل معصية ولرسوله، ويزول مع أوّل عارض صحي يغشى الزوجة.

ونحن في زمن تنردد معه أنفاسنا، ولا تزال تنبض فيه قلوبنا. لا تثريب عليك - أخي - فالخير موجود.. أعد الكرّة وتحسس قلبك، وأفض على نفسك وعلى من حولك نسمات صادقة من المحبة الإيمانية، ونفحات من الأخوة الإسلامية، وتفقهّد من لهم عليك حقوق عظيمة من أبوين، وأخوة، وزوجة، وأبناء.. ولا تحرم نفسك أجراً ومثوبة. بل أمطر الخير مطراً.. وفي كل معروف صدقة. ►